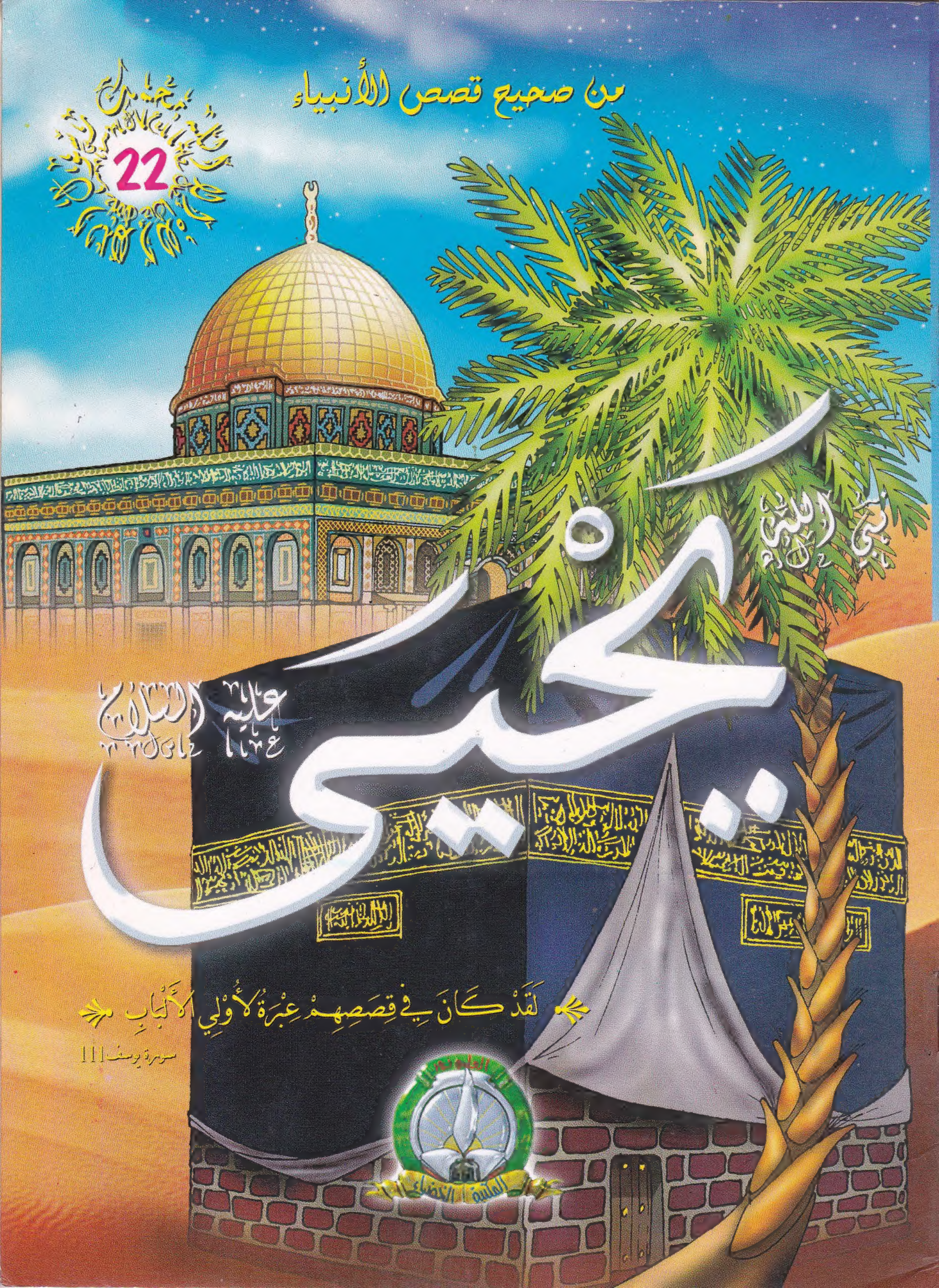


من صحيح قصص الأنبياء
22
نبي الله
يحيى
عليه السلام
لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ
سورة يوسف ١١١

من صحيح قصص الأنبياء

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ سورة يوسف 111

22

نَبِيُّ اللَّهِ

يَحْيَى

عَلَيْهِ السَّلَامُ

إعداد: قندوزي كمال

مراجعة علمية: مشري عمر - مراجعة لغوية: ساعد العلوي

الطبعة الرابعة

المكتبة الخضراء

للطباعة والنشر والتوزيع

1أ طريق الزواوة الشراقة الجزائر

الإيداع القانوني: 2007-3566

ردمك: 978-9961-25-017-4



﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ۝ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا﴾

(سورة مريم، الآية 12-13)

زَكَرِيَّا يَكْفُلُ مَرْيَمَ

كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ، يَبْعَثُ إِلَيْهِمُ الأَنْبِيَاءَ، وَكُلَّمَا مَاتَ نَبِيٌّ جَاءَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ آخَرُ يَخْلُفُهُ، وَهُمُ الَّذِينَ يَسُوسُونَهُمْ وَيَقُودُونَهُمْ إِلَى مَا فِيهِ الْخَيْرُ، وَيُعَلِّمُونَهُمْ أُمُورَ دِينِهِمْ، فَمَا يُحِبُّهُ اللهُ يُبَيِّنُوهُ لَهُمْ وَأَمَرُوهُمْ بِفِعْلِهِ، وَمَا لَا يُحِبُّهُ نَهَوْهُمْ عَنْهُ وَحَذَّرُوهُمْ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ، خَوْفًا مِنْ أَنْ يَغْضَبَ عَلَيْهِمُ اللهُ.

وَمِنْ هَؤُلَاءِ الأَنْبِيَاءِ نَبِيُّ اللهِ زَكَرِيَّا عليه السلام، مِنْ عِبَادِهِ الأَخْيَارِ، وَأَنْبِيَائِهِ الأَطْهَارِ، وَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ لِيَسْأَلُوهُ فِي أُمُورِ دِينِهِمْ مِمَّا يَجُوزُ وَمَا لَا يَجُوزُ فِعْلُهُ، وَيَسْتَشِيرُونَهُ فِي أُمُورِ دُنْيَاهُمْ لِأَنَّهُ كَانَ أَرْجَحَهُمْ عَقْلًا، وَأَكْثَرَهُمْ فِطْنَةً، وَأَعْظَمَهُمْ عِلْمًا؛ يُوَجِّهُهُمُ الْوِجْهَةَ الْحَسَنَةَ، وَيَعِظُهُمْ بِمَوَاعِظَ مُؤَثِّرَةٍ، تَدْخُلُ كَلِمَاتُهُ وَمَعَانِيهِ إِلَى قُلُوبِهِمْ، وَتَفْهَمُهَا عُقُولُهُمْ، لِأَنَّ كَلَامَهُ بَسِيطٌ يَفْهَمُهُ كُلُّ النَّاسِ عَلَى اخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ، وَتَنَوُّعِ ثَقَافَتِهِمْ، إِذْ أُوتِيَ الْحِكْمَةَ، ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [البقرة، 269]، وَقَدْ آتَاهُ اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ صَالِحٍ مُفِيدٍ، لَمْ يَسْأَلْ مِنْهُ تَعَالَى

شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ قَالَ تَعَالَى عَلَى لِسَانِـهِ: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم، 4] سَوَاءٌ كَانَ مَا سَأَلَهُ مِنْ أُمُورٍ خَاصَّةٍ بِهِ أَوْ عَامَّةٍ لِلنَّاسِ، وَهَذَا النَّبِيُّ الْمُكَرَّمُ هُوَ زَوْجُ "أَشْيَاعَ" الَّتِي هِيَ أُخْتُ "حِنَّةَ" أُمِّ مَرْيَمَ الَّتِي وَلَدَتْ عِيسَى الْمَسِيحَ عليه السلام، حَلَفَتْ أَنْ تَهَبَ ابْنَهَا الْمَوْلُودَ لِيَخْدُمَ الْمَسْجِدَ الأَقْصَى، وَلَكِنَّهَا لَمَّا وَضَعَتِ الْمَوْلُودَ لَمْ يَكُنْ ذَكَرًا كَمَا كَانَتْ تَتَمَنَّى، بَلْ كَانَتْ أُنْثَى وَسَمَّتْهَا مَرْيَمَ، ثُمَّ بَعَثَتْ بِهَا إِلَى الْمَسْجِدِ لِيَتَكَفَّلَ بِهَا أَحَدُ عُبَّادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ عَالِمًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ، فَتَنَازَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ فِيمَنْ يَكْفُلُهَا.

أَرَادَ زَكَرِيَّا عليه السلام أَنْ يَكْفُلَهَا فَهُوَ نَبِيُّهُمْ، وَزَوْجَتُهُ أُخْتُ حِنَّةَ الَّتِي هِيَ خَالَةُ مَرْيَمَ، وَهُوَ أَحَقُّ بِمَرْيَمَ، لَكِنَّ أُولَئِكَ الْعُبَّادَ وَالْعُلَمَاءَ لَمْ يَرْضُوا أَنْ يَأْخُذَهَا زَكَرِيَّا، وَقَالُوا لَهُ: لِنُجْرِ بَيْنَنَا الْقُرْعَةَ، فَمَنْ رَسَتْ عَلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ أَنْ يَكْفُلَهَا وَيُرَبِّيَهَا، دَارَتِ الْقُرْعَةُ بَيْنَهُمْ، فَكَانَ زَكَرِيَّا عليه السلام هُوَ الَّذِي تَخْرُجُ الْقُرْعَةُ لِصَالِحِهِ لِثَلَاثِ مَرَّاتٍ مُتَتَالِيَةٍ.

زَكَرِيَّا يَدْعُو وَيَتَعَجَّبُ !

أَخَذَهَا زَكَرِيَّا عليه السلام وَرَبَّاهَا أَحْسَنَ تَرْبِيَةٍ، فَلَمَّا كَبِرَتْ جَعَلَ لَهَا مَوْضِعًا بِالْمَسْجِدِ لِتَتَعَبَّدَ فِيهِ، وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا لِيَتَفَقَّدَ أَحْوَالَهَا، لِأَنَّهُ هُوَ الْكَفِيلُ، فَيَجِدُ عِنْدَهَا رِزْقًا فَيَعْجَبُ لِذَلِكَ، كَيْفَ يَدْخُلُ إِلَيْهَا هَذَا الرِّزْقُ رَغْمَ أَنَّهُ أَغْلَقَ الْبَابَ عَلَيْهَا، فَسَأَلَهَا قَائِلًا: ﴿يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا﴾ فَتَقُولُ هِيَ: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران، 37] هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا عليه السلام رَبَّهُ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يُعْطِيَهُ مَا يَسْأَلُ، فَتَمَنَّى أَنْ يَرْزُقَهُ وَلَدًا، فَهُوَ طَوَالَ حَيَاتِهِ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَوْلَادٌ، يَخْلُفُونَهُ فِي إِرْشَادِ وَتَذْكِيرِ قَوْمِهِ، إِذْ خَافَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَرْتَدُّوا وَيُغَيِّرُوا دِينَ اللهِ، فَيَعُودُوا لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ، وَهُوَ أَصْبَحَ شَيْخًا، وَالْمَوْتُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ، دَعَا رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ ابْنًا صَالِحًا يَأْخُذُ مَكَانَهُ فِي تَوْجِيهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَاسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَهُ، وَحَمَلَتْ زَوْجَتُهُ بَعْدَمَا كَانَتْ عَاقِرًا لَا تَلِدُ، وَأَصْبَحَتْ عَجُوزًا، لَكِنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا قَالَ لَهُ: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة، 35]، فَتَهَيَّأَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ الْعَجُوزُ لِاسْتِقْبَالِ

وَلَدِهَا الْمَوْعُودِ، وَهِيَ لَا تَكَادُ تُصَدِّقُ، لَوْ لَا أَنَّ اللَّهَ وَعَدَ بِأَنَّهُ سَيَرْزُقُهُمْ وَلَدًا صَالِحًا لِيُوَجِّهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلِدَهْشَتِهَا وَاسْتِغْرَابِهَا حَدَّثَتْ بِهَذَا الْحَمْلِ ابْنَةَ أُخْتِهَا مَرْيَمَ فَقَالَتْ لَهَا: أَشَعَرْتِ أَنِّي حَامِلٌ؟ أَيْ هَلْ تَعْلَمِينَ أَنِّي قَدْ حَمَلْتُ مِنْ زَكَرِيَّا عليه السلام؟ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ مِصْدَاقَ اسْتِجَابَتِهِ لِدُعَائِهِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَبْكَمَهُ، فَصَارَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ لِمُدَّةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم، 10] فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنْ مَسْجِدِهِ الَّذِي يَتَعَبَّدُ فِيهِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُسَبِّحُوا اللَّهَ تَعَالَى بُكْرَةً وَعَشِيًّا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ.

تَحَقُّقُ أُمْنِيَّةِ زَكَرِيَّا

لَمَّا حَانَ الْوَقْتُ وُلِدَ لِزَكَرِيَّا عليه السلام غُلَامٌ سَمَّاهُ يَحْيَى عليه السلام وَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلُ مُنْذُ آدَمَ عليه السلام إِلَى وَقْتِهِ مَنْ وُلِدَ لَهُ غُلَامٌ بِهَذَا الِاسْمِ، فَهُوَ أَوَّلُ اسْمٍ بِهَذَا الشَّكْلِ فِي التَّارِيخِ، ثُمَّ أَصْبَحَ النَّاسُ بَعْدَهُ يُسَمُّونَ أَبْنَاءَهُمْ بِاسْمِ يَحْيَى.

كَانَ يَحْيَى فِي طُفُولَتِهِ مَعَ أَبَوَيْهِ يَتَرَعْرَعُ وَيَكْبُرُ مَغْمُورًا بِحَنَانِ وَالِدَيْهِ اللَّذَيْنِ كَانَا يَخَافَانِ عَلَيْهِ أَنْ يُصَابَ بِأَذًى، أَوْ يَحْدُثَ لَهُ مَكْرُوهٌ، يَأْخُذُهُ أَبُوهُ مَعَهُ بَيْنَ الْحِينِ وَالْحِينِ،

وَلَمَّا فُطِمَ يَحْيَى أَخَذَ يَتَكَلَّمُ وَيَعْقِلُ مَا يُقَالُ لَهُ، وَيَفْهَمُ التَّوْرَاةَ، وَكَانَ النَّاسُ حِينَ يَأْتُونَ إِلَى أَبِيهِ زَكَرِيَّا عليه السلام لِيَسْأَلُوهُ، تَجِدُهُ يَسْمَعُ وَيُنْصِتُ بِاهْتِمَامٍ لِمَا يَقُولُهُ لَهُمْ أَبُوهُ مِنَ الْحِكْمَةِ، وَمَا يُجِيبُ بِهِ عَنْ أَسْئِلَةِ النَّاسِ فِي الْأَحْكَامِ الدِّينِيَّةِ، وَلِيَحْيَى عليه السلام قَلْبٌ زَكِيٌّ فَطِنٌ، وَعَقْلٌ نَيِّرٌ، ذُو تَفْكِيرٍ عَمِيقٍ، يَفْهَمُ الْمَعْنَى الْبَعِيدَ الدَّقِيقَ الَّذِي لَا يَفْهَمُهُ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَهَذَا لِأَنَّ اللَّهَ اخْتَارَهُ لِلرِّسَالَةِ، وَاصْطَفَاهُ بِالْوَحْيِ؛ أَمَرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ صَغِيرٌ، أَنْ يَأْخُذَ التَّوْرَاةَ وَيَدْرُسَهَا، وَلَا يَتَوَانَى فِي ذَلِكَ، فَكَانَتْ لَهُ عَزِيمَةٌ لَا تَكِلُّ، وَإِرَادَةٌ لَا تَمَلُّ؛ يَدْرُسُ التَّوْرَاةَ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كَلِيمِهِ مُوسَى عليه السلام عَلَى يَدِ أَبِيهِ زَكَرِيَّا إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم، 12] وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْلَمَ مَا فِي التَّوْرَاةِ وَيُطَبِّقَ أَحْكَامَهَا، لِأَنَّ الْعِلْمَ النَّظَرِيَّ وَحْدَهُ غَيْرُ كَافٍ، لِيَكُونَ مَعَ هَذَا الْعِلْمِ الْعَمَلُ فَتَزْكُوَ بِذَلِكَ نَفْسُهُ، وَيَنْشَرِحَ صَدْرُهُ، وَيَزِيدَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَهْمًا وَفِطْنَةً وَذَكَاءً.

فَهِمَ يَحْيَى عليه السلام كُلَّ ذَلِكَ وَهُوَ صَغِيرٌ، وَعَلِمَ كُلَّ تِلْكَ الْعُلُومِ الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتَعَلَّمَهَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُمْضِيَ

فِي ذَلِكَ الْوَقْتَ الْكَثِيرَ بَعْدَ أَنْ يُصْبِحَ رَجُلاً لِيَفْهَمَ كُلَّ ذَلِكَ، لَكِنَّ اللَّهَ بَارَكَ فِي يَحْيَى عليه السلام فَأَعْطَاهُ العِلْمَ فِي فَتْرَةٍ وَجِيزَةٍ جِدًّا، قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم، 12]، وَأُوتِيَ بَعْدَ ذَلِكَ الْحِكْمَةَ، فَكَانَ صَبِيًّا حَكِيمًا، وَازْدَادَ أَبُوهُ بِذَلِكَ فَرَحًا وَغِبْطَةً بِهِ حِينَ رَأَى اسْتِجَابَةَ اللَّهِ لَهُ حَيْثُ رَزَقَهُ غُلَامًا وَجَعَلَهُ مِمَّنْ أُوتِيَ الْحِكْمَةَ فِي صِبَاهُ.

أَخْلَاقُ يَحْيَى

وَكَانَ يَحْيَى عليه السلام قَدْ تَرَبَّى عَلَى الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ وَلِينِ الْكَلَامِ؛ فَكَانَ يُحِبُّ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ، وَيَخَافُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمُخَالَفَاتِ الشَّرْعِيَّةِ فَيُغْضِبُونَ اللَّهَ عَلَيْهِمْ، وَالنَّاسُ يُحِبُّونَهُ وَيَسْمَعُونَ كَلَامَهُ، فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ عَنْهُ إِلَّا الْخَيْرَ؛ لَمْ يَرْتَكِبْ فِي حَيَاتِهِ مَعْصِيَةً وَلَوْ كَانَتْ صَغِيرَةً، وَلَيْسَ هَذَا فَقَطْ بَلْ إِنَّهُ لَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ أَيْضًا بِأَيَّةِ مَعْصِيَةٍ لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ عَصَمَهُ وَجَعَلَهُ ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران، 39]، فَلَمْ تَكُنْ لَهُ نَفْسٌ تَمِيلُ إِلَى الشَّرِّ أَوِ الشَّهَوَاتِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا، بَلْ كَانَ مَعْصُومًا مِنْ كُلِّ ذَلِكَ، وَرَغْمَ هَذَا فَهُوَ لَمْ يَغْتَرَّ بِنَفْسِهِ وَبِطَاعَتِهِ، بَلْ كَانَ مُتَوَاضِعًا رَحِيمًا بِوَالِدَيْهِ

وَبِالنَّاسِ؛ يُكِنُّ لِوَالِدَيْهِ الْحُبَّ الْكَبِيرَ؛ لَمْ يَعْصِ لَهُمَا أَمْرًا مَهْمَا كَانَ، لِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم، 14].

وَلَمَّا كَبِرَ يَحْيَى أَصْبَحَ يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الشَّرِّ مِثْلَ ابْنِ خَالَتِهِ عِيسَى عليهما السلام، إِذْ يَقُومَانِ بِذَلِكَ أَحْسَنَ قِيَامٍ، وَيُؤَدِّيَانِ مَهَمَّةَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ عَلَى أَتَمِّ وَجْهٍ؛ يُذَكِّرَانِ النَّاسَ وَيُعَلِّمَانِهِمْ مِمَّا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِمَا، وَيَتَنَاوَبَانِ فِي ذَلِكَ؛ فَمَرَّةً يُذَكِّرُهُمْ عِيسَى وَمَرَّةً يُذَكِّرُهُمْ يَحْيَى.

يَحْيَى وَالْوَصَايَا الْخَمْسُ

وَفِي إِحْدَى الْمَرَّاتِ جَاءَ دَوْرُ يَحْيَى عليه السلام لِيُخَاطِبَ النَّاسَ بِمَا أَوْحَى إِلَيْهِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُبَلِّغَ بَنِي إِسْرَائِيلَ خَمْسَ كَلِمَاتٍ؛ أَيْ خَمْسَ وَصَايَا، أَمَرَهُ رَبُّهُ بِأَنْ يَعْمَلَ وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، فَأَنْبِيَاءُ اللَّهِ كَانُوا يَبْدَأُونَ بِأَنْفُسِهِمْ فِي تَطْبِيقِ الْأَوَامِرِ الَّتِي جَاءَتْهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، ثُمَّ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِفِعْلِهَا، فَهُمْ لَا يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، تَأَخَّرَ يَحْيَى عَنْ تَبْلِيغِ قَوْمِهِ، فَجَاءَهُ ابْنُ خَالَتِهِ عِيسَى عليه السلام وَقَالَ

لَهُ: إِنَّكَ قَدْ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهَا، وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ وَإِمَّا أَنْ أُبَلِّغَهُنَّ أَنَا.

فَقَالَ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنِّي أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي إِلَى إِبْلَاغِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُعَذِّبَنِي اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَوْ يَخْسِفَ بِيَ الْأَرْضَ، لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَتَأَخَّرَ عَنْ دَعْوَةِ قَوْمِهِ إِذَا أَمَرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُبَلِّغَهُمْ شَيْئًا، فَوَظِيفَتُهُمْ وَعَمَلُهُمْ هُوَ تَبْلِيغُ النَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ. وَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّاسَ أَنْ يَجْتَمِعُوا فِي الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ حَتَّى يُسْمِعَهُمْ مَا أُوحِيَ بِهِ إِلَيْهِ؛ أَخَذَ النَّاسُ يَأْتُونَ مِنْ كُلِّ أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ لِيَسْتَمِعُوا لَهُ، فَامْتَلَأَ الْمَسْجِدُ بِالنَّاسِ، وَلَمْ يَبْقَ فِيهِ مَكَانٌ شَاغِرٌ، فَقَعَدَ النَّاسُ قَرِيبًا مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ.

لَمَّا أَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مَكَانَهُ جَاءَ يَحْيَى فَحَمِدَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَمَجَّدَهُ وَعَظَّمَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهَا، أَوَّلُهَا: أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. فَهَذِهِ هِيَ الْكَلِمَةُ الْأُولَى الَّتِي أُمِرَ بِهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهِيَ أَسَاسُ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَيْهَا، وَكُلُّهُمْ جَاءُوا إِلَى أَقْوَامِهِمْ لِيُبَلِّغُوهُمْ هَذِهِ الْكَلِمَةَ،

الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا خَلَقَ اللَّهُ الْكَوْنَ؛ فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هِيَ الْأَسَاسُ، وَمَنْ نَطَقَ بِهَا وَأَيْقَنَ بِمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ فَقَدْ فَازَ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ضَلَّ. وَلَعَلَّ الْإِنْسَانَ لَا يَهْتَمُّ بِهَا اهْتِمَامًا كَبِيرًا، وَيَقُولُهَا بِاللِّسَانِ فَقَطْ، وَلَكِنَّ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيَّنَ لِقَوْمِهِ أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ عَظِيمَةٌ جِدًّا، وَلِكَيْ يُبَيِّنَ لَهُمْ عَظَمَتَهَا ضَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا لِيَفْهَمُوا أَكْثَرَ خُطُورَةَ الشِّرْكِ بِاللَّهِ، لِأَنَّ مَنْ قَالَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ الَّتِي هِيَ لُبُّ التَّوْحِيدِ وَالْعِبَادَةِ، ثُمَّ أَشْرَكَ بِاللَّهِ، فَكَأَنَّهُ هَدَمَ الْعِبَادَةَ وَالتَّوْحِيدَ مَعًا.

قَالَ لَهُمْ: مَثَلُ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ مَالِهِ فَهُوَ مِلْكٌ لِسَيِّدِهِ؛ يُطِيعُ أَوَامِرَهُ وَيَبْتَعِدُ عَمَّا يُغْضِبُهُ، وَكَانَتْ لِهَذَا السَّيِّدِ أَرْضٌ بِهَا زَرْعٌ، فَأَمَرَ عَبْدَهُ أَنْ يَحْصُدَهُ، فَلَمَّا حَصَدَهُ كُلَّهُ أَعْطَاهُ لِرَجُلٍ آخَرَ. فَهَذَا هُوَ مَثَلُ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ، فَإِنَّ السَّيِّدَ هُوَ اللَّهُ، وَالْعِبَادُ مِلْكٌ لَهُ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ الْعِبَادَ أَنْ يَعْمَلُوا لَهُ لِأَنَّهُ هُوَ سَيِّدُهُمْ، وَهُمْ عَبِيدُهُ، فَبَدَلًا مِنْ أَنْ يَعْمَلَ الْعِبَادُ الْأَعْمَالَ لِلَّهِ مِنَ السُّجُودِ وَتَقْرِيبِ الْقَرَابِينِ إِذَا بِهِمْ يَعْمَلُونَ لِغَيْرِ اللَّهِ، فَالْكَثِيرُ مِنْهُمُ اتَّخَذَ أَصْنَامًا يَعْبُدُهَا وَيَسْجُدُ وَيَذْبَحُ لَهَا، وَهَذَا لَا يَنْبَغِي لِأَنَّ الْأَعْمَالَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلسَّيِّدِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي هُوَ اللَّهُ، فَكَيْفَ تُصْرَفُ هَذِهِ

الْعِبَادَاتِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ مِنَ الأَصْنَامِ، وَهَذَا مِنْ أَوْضَحِ الأَمْثِلَةِ عَلَى خُطُورَةِ الشِّرْكِ وَعِظَمِ ضَرَرِهِ، لِذَلِكَ يَغْضَبُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، لأَنَّهُمْ عِبَادُ سُوءٍ لا يُقَدِّرُونَ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَخَتَمَ يَحْيَى عليه السلام الْمِثَالَ بِقَوْلِهِ: مَنْ مِنْكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ هُوَ السَّيِّدَ، وَيَكُونَ ذَلِكَ الْعَبْدُ الَّذِي أُمِرَ بِالْعَمَلِ فِي الزَّرْعِ عَبْدَهُ الَّذِي يُعْطِي الزَّرْعَ لِغَيْرِ سَيِّدِهِ؟ فَلا أَحَدَ يَقْبَلُ بِهَذَا الَّذِي لا يَعْرِفُ حَقِيقَةَ سَيِّدِهِ الَّذِي أَعْطَاهُ وَأَطْعَمَهُ، فَهَذِهِ هِيَ حَقِيقَةُ الشِّرْكِ؛ فَاللَّهُ هُوَ سَيِّدُنَا وَخَالِقُنَا وَرَازِقُنَا وَنَحْنُ عَبِيدُهُ، فَإِذَا عَمِلْنَا شَيْئًا فَلا نَجْعَلُهُ إِلا لِلَّهِ، وَلا يَنْبَغِي أَنْ نَتَّخِذَ أَصْنَامًا أَوْ قُبُورًا آلِهَةً نَعْمَلُ أَوْ نَسْجُدُ أَوْ نَذْبَحُ لَهَا، لأَنَّ هَذِهِ الأَعْمَالَ الدِّينِيَّةَ لا تَكُونُ إِلا لِلَّهِ.

ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ بِالأَمْرِ الثَّانِي فَقَالَ: وَآمُرُكُمْ بِالصَّلاةِ الَّتِي هِيَ الصِّلَةُ الَّتِي تَرْبِطُ الْعَبْدَ بِرَبِّهِ، فَلَوْ أَبْطَلَ الإِنْسَانُ الصَّلاةَ فَقَدْ أَبْطَلَ وَقَطَعَ تِلْكَ الرَّابِطَةَ الَّتِي تَرْبِطُهُ بِهِ، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُهُ إِذَا كَانَ مَقْطُوعًا عَنِ اللَّهِ؟ يَعِيشُ كَالْبَهِيمَةِ، يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَنَامُ فَقَطْ، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّهُ يَعِيشُ دَائِمًا مَعَ اللَّهِ وَخَاصَّةً فِي صَلاتِهِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَاضِرًا بِقَلْبِهِ فِيهَا، يَسْتَحْضِرُ عَظَمَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَجَلالَهُ، وَإِذَا فَعَلَ الْعَبْدُ ذَلِكَ فِي صَلاتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُقْبِلُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ، أَمَّا إِذَا كَانَ هَذَا الْمُصَلِّي

يَنْظُرُ، وَهُوَ فِي صَلاتِهِ، يَمِينًا وَشِمَالاً يَعْبَثُ وَيُكْثِرُ مِنَ الْحَرَكَةِ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَيْهِ، لأَنَّ الصَّلاةَ الَّتِي يَقْبَلُهَا اللَّهُ هِيَ الَّتِي يَخْشَعُ فِيهَا الْقَلْبُ، وَتَسْكُنُ فِيهَا الْجَوَارِحُ، وَيُفْهَمُ مَا يُقْرَأُ فِيهَا.

ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِالأَمْرِ الثَّالِثِ وَهُوَ الصِّيَامُ، فَفِيهِ وِقَايَةٌ مِنَ الْمَعَاصِي، وَطَاعَةٌ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، وَرَائِحَةُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَإِنْ كَانَ النَّاسُ يَسْتَقْذِرُونَهَا، وَيَنْفِرُونَ مِنْ مُجَالَسَةِ مَنْ تَنْبَعِثُ مِنْهُ هَذِهِ الرَّائِحَةُ.

ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِالأَمْرِ الرَّابِعِ وَهُوَ الصَّدَقَةُ، وَأَعْطَى لَهُمْ مِثَالاً لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَضْلَهَا وَمَا تَفْعَلُهُ فِي نَجَاةِ الإِنْسَانِ مِنَ النَّارِ فَقَالَ: أَرَأَيْتُمُ الْعَدُوَّ حِينَ يَقْبِضُ عَلَى رَجُلٍ، ثُمَّ يُؤْتَى بِهِ لِيَقْتُلُوهُ، وَيُرِيدُ أَنْ يُنْقِذَ نَفْسَهُ مِنَ الْمَوْتِ، فَيَقُولُ لِهَؤُلاءِ الْجُنُودِ: مَاذَا لَوْ أَعْطَيْتُكُمُ الْمَالَ الْكَثِيرَ أَتَتْرُكُونَنِي أَذْهَبُ وَلا تَقْتُلُونَنِي؟ فَقَالُوا: وَكَمْ تَدْفَعُ لَنَا مِنَ الْمَالِ؟ قَالَ: كَذَا وَكَذَا. قَالُوا: نَعَمْ. فَأَعْطَاهُمُ الْمَالَ وَتَرَكُوهُ يَذْهَبُ وَلَمْ يَقْتُلُوهُ، فَالصَّدَقَةُ تَفْعَلُ كَذَلِكَ بِصَاحِبِهَا الَّذِي تَصَدَّقَ بِهَا؛ أَيْ أَنَّ اللَّهَ إِذَا غَضِبَ عَلَى الإِنْسَانِ فَالْعَمَلُ الَّذِي يُطْفِئُ غَضَبَهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ هُوَ أَنْ يُكْثِرَ مِنَ الصَّدَقَةِ، فَكُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ إِلاَّ وَأَطْفَأَتْ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْجُوَ مِنَ النَّارِ.

ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِالأَمْرِ الْخَامِسِ وَالأَخِيرِ فَقَالَ: وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ

ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِالأَمْرِ الْخَامِسِ وَالأَخِيرِ الَّذِي هُوَ ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَعْطَاهُمْ مِثَالاً عَنْ أَهَمِّيَّتِهِ: ذَلِكَ أَنَّ أَعْدَاءً أَخَذُوا يَجْرُونَ وَرَاءَ رَجُلٍ لِيَقْتُلُوهُ، فَفَرَّ هَارِبًا مِنْهُمْ، وَهُمْ يَجْرُونَ خَلْفَهُ؛ أَخَذَ الرَّجُلُ يَجْرِي إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى قَصْرٍ كَبِيرٍ كَانَ مُحَصَّنًا، وَعَلِمَ أَنَّهُ إِنْ دَخَلَ هَذَا الْقَصْرَ سَيَنْجُو مِنْ هَؤُلَاءِ الأَعْدَاءِ، دَخَلَ إِلَى الْقَصْرِ وَأَغْلَقَ الأَبْوَابَ، فَلَمَّا جَاءُوا لَمْ يَجِدُوا الْمَدْخَلَ الَّذِي يَدْخُلُونَ مِنْهُ إِلَيْهِ، لأَنَّ كُلَّ الأَبْوَابِ مُغْلَقَةٌ، فَنَجَا مِنْهُمْ، وَهَكَذَا الْعَبْدُ، لَهُ عَدُوٌّ هُوَ إِبْلِيسُ الَّذِي يُرِيدُ بِهِ الشَّرَّ دَائِمًا، وَلَا يُمْكِنُ لِهَذَا الإِنْسَانِ أَنْ يَنْجُوَ مِنْ شَرِّهِ وَوَسَاوِسِهِ إِلَّا إِذَا تَحَصَّنَ بِحِصْنٍ مَنِيعٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، هُوَ ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَإِذَا أَكْثَرَ الإِنْسَانُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ سَيَنْجُو مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ وَمَكَائِدِهِ.

عِقَابُ اللَّهِ قَاتِلِي النَّبِيِّينَ

وَكَانَ يَحْيَى عليه السلام دَائِمًا يَأْمُرُهُمْ بِمَا يُوجِبُهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَيَنْهَاهُمْ عَمَّا حَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ، وَمِمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ الرَّجُلُ بِإِحْدَى مَحَارِمِهِ، وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يُوجَدُ مَلِكٌ جَبَّارٌ عَنِيدٌ مُحِبٌّ لِلشَّهَوَاتِ، وَلَوْ كَانَتْ تُخَالِفُ شَرْعَ اللَّهِ فَلَا يَهُمُّهُ، وَإِنَّمَا الَّذِي يَهُمُّهُ هُوَ أَنْ يُشْبِعَ شَهَوَاتِهِ وَمُيُولَهُ، كَانَ قَدْ أَحَبَّ ابْنَةَ أَخِيهِ، أَيْ أَنَّ الْمَلِكَ عَمُّ هَذِهِ الْمَرْأَةِ، فَأَرَادَ أَنْ

يَتَزَوَّجَ بِهَا؛ وَبَعَثَ إِلَى يَحْيَى عليه السلام يَسْأَلُهُ فِي ذَلِكَ: هَلْ يَجُوزُ لَهُ فِي الدِّينِ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِابْنَةِ أَخِيهِ أَوْ لَا؟ فَرَدَّ عَلَيْهِ نَبِيُّ اللَّهِ بِأَنَّ هَذَا الزَّوَاجَ حَرَامٌ، لأَنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ تُعْتَبَرُ مِنْ مَحَارِمِهِ، فَتَوَقَّفَ عَنْ ذَلِكَ.

وَكَانَ لِهَذَا الْمَلِكِ يَوْمٌ إِذَا طَلَبَ مِنْهُ أَيُّ إِنْسَانٍ طَلَبًا يُعْطِيهِ إِيَّاهُ، فَقَالَتْ أُمُّ تِلْكَ الْمَرْأَةِ لابْنَتِهَا إِذَا دَخَلْتِ عَلَى الْمَلِكِ فَقُولِي لَهُ: إِنَّ حَاجَتِي إِلَيْكَ أَنْ تَقْتُلَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا. فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ وَطَلَبَتْ طَلَبَهَا، قَالَ لَهَا: اطْلُبِي مِنِّي شَيْئًا آخَرَ. قَالَتْ: لَا أُرِيدُ حَاجَةً إِلَّا هَذِهِ. دَعَا الْمَلِكُ يَحْيَى عليه السلام فَقَتَلَهُ ذَبْحًا، وَطَارَتْ قَطْرَةٌ مِنْ دَمِهِ عَلَى الأَرْضِ، فَلَمْ تَزَلْ تَغْلِي حَتَّى سَلَّطَ اللَّهُ رَجُلاً جَبَّارًا هُوَ "بُخْتُ نَصَّرْ" عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، بَعْدَ أَنْ دَلَّتْهُ عَجُوزٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى ذَلِكَ الدَّمِ الَّذِي كَانَ يَغْلِي، وَأَلْقَى اللَّهُ فِي قَلْبِهِ أَنْ يَقْتُلَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى يَسْكُنَ وَيَتَوَقَّفَ ذَلِكَ الدَّمُ عَنِ الْغَلَيَانِ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ سَبْعِينَ أَلْفًا مِنْ سِنٍّ وَاحِدَةٍ أَيْ لَهُمْ أَعْمَارٌ وَاحِدَةٌ، فَسَكَنَ الدَّمُ. وَهَذَا هُوَ حَالُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَيِ الْيَهُودِ، فَهُمْ لَا عَهْدَ لَهُمْ. وَقَدْ كَانَ الأَنْبِيَاءُ عِنْدَهُمْ أَذِلَّاءَ، فَمِنْهُمْ مَنْ كَذَّبُوهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَتَلُوهُ كَمَا كَانَ حَالُ زَكَرِيَّا وَابْنِهِ يَحْيَى عليهما السلام فَانْتَقَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِنَبِيَّيْهِ الشَّهِيدَيْنِ.

أسئلة استيعاب القصة:

1- لمن نذرت "حنّة" أن تهب له ما في بطنها؟ وعلى مَن رست القرعة ليكفل ابنتها مريم ويربيها؟

2- ماذا وجد زكريا عند مريم في معبدها؟ كيف سألها؟ وبماذا أجابت؟

3- لَمّا رأى زكريا بيانا ومعجزة عن قدرة الله مع مريم ماذا طلب من ربه مما كان يتمناه؟

4- ما هي العلاقة التي أعطاها الله لزكريا مصداقا لاستجابته دعاءه؟

5- بماذا كان يحيى يمتاز من صفات في صغره؟ وما هو الكتاب الذي كان يقرأه ويدرسه؟ وماذا قال الله تعالى في هذا المعنى؟

6- كيف كانت علاقته بوالديه؟ وما معنى "حصورا"؟

7- مع من كان يتعاون ويتناوب في أداء الدعوة إلى الله؟

8- أوحى الله إلى يحيى بخمس وصايا ليبلغها إلى بني إسرائيل. اذكرها إجمالا.

9- فصل الكلام في ثلاث من تلك الوصايا في بضعة أَسطر.

10- عماذا سأل الملك الظالم يحيى؟ وبماذا أجابه؟

11- من الذي طلب من الملك أن يقتل يحيى؟ وكيف قتله؟

12- ماذا كان عقاب الملك وقومه من الله تعالى؟

13- اذكر أسماء الأشخاص الواردة في القصة، واذكر أمام كل شخص ما يمتاز به من خصال الخير أو الشر!

بسم الله الرحمن الرحيم

يُسْعِدُنَا أَنْ نَضَعَ بَيْنَ يَدَيْكَ، عَزِيزِي الْقَارِئَ الصَّغِيرَ، هَذِهِ السِّلْسِلَةَ الْمَوْضُوعَةَ بِلُغَةٍ وَ أُسْلُوبٍ يَسْمَحَانِ لَكَ بِإِدْرَاكِ جُمْلَةٍ مِنَ الْمَعَارِفِ عَنْ سِيَرِ الأَنْبِيَاءِ الَّتِي نَتَوَخَّى مِنْهَا أَنْ تُحَقِّقَ أَهْدَافَهَا التَّرْبَوِيَّةَ، وَ يَسْتَخْلِصَ أَبْنَاؤُنَا وَ بَنَاتُنَا الْعِبَرَ بِمَا لَحِقَ الأَنْبِيَاءَ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ، وَكَيْفَ كَانَتْ مُعَانَاتُهُم مَعَ أَقْوَامِهِمْ وَ إِذَايَاتُهُمْ لَهُمْ. وَ مَعَ ذَلِكَ فَقَدْ وَاجَهُوا أَقْوَامَهُم بِمَنْهَجٍ قَوِيمٍ، هُوَ الدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ بِالرِّفْقِ وَ اللِّينِ وَ الْمُجَادَلَةِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، حَتَّى يُبَلِّغُوا دِينَ اللهِ إِلَى النَّاسِ، فَيَتَّخِذَهُمُ الْقَارِئُ نِبْرَاسًا فِي حَيَاتِهِ، وَ يَقْتَدِي بِهِمْ، وَ قَدْ بَذَلْنَا جُهْداً فِي تَنْقِيحِ هَذِهِ الطَّبْعَةِ الْجَدِيدَةِ، وَ زِدْنَا فِيهَا أَشْيَاءَ تُسَاعِدُ عَلَى الاسْتِيعَابِ وَ الْفَهْمِ.

صدر في نفس السلسلة

1 - آدم	7 - لوط	13 - يونس	19 - داود
2 - إدريس	8 - إسماعيل	14 - موسى مع فرعون	20 - سليمان
3 - نوح	9 - إسحاق	15 - موسى مع قومه	21 - زكريا
4 - هود	10 - شعيب	16 - موسى مع الخضر	22 - يحي
5 - صالح	11 - يوسف	17 - إلياس مع اليسع	23 - عيسى
6 - إبراهيم	12 - أيوب	18 - ذو الكفل	24 - محمد

عليهم الصلاة و السلام

الإيداع القانوني : 2007-3566
ISBN : 978-9961-25-017-4
9789961250174
المكتبة الخضراء
للطباعة والنشر و التوزيع
1 أ شارع الزواوة الشراقة الجزائر
www.bverte.net
bibliotheque_verte@yahoo.com
Réf :085